## خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

## ٢٥ من شعبان ١٤٣٦ هـ / ١٢ من حزيران ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستنّ بسنّتهم إلى يوم الدين.

من اعتمد على علمه ضلّ، ومن اعتمد على عقله اختلّ، ومن اعتمد على سلطانه ذلّ، ومن اعتمد على ماله قلّ، ومن اعتمد على الناس ملّ، ومن اعتمد على الله، فلا ضلَّ ولا قلَّ ولا ملَّ ولا ذلَّ ولا اختلَّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عزَّ وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

معاشر السادة: إن سورة البقرة تَدور كلها على محور واحد، تدور حول حقيقة التقوى ومعالمها، وما يوصل إليها، وأقسام الناس منها، ومواقف الأولين والآخرين من حقيقة التقوى، تكررت كلمة التقوى في السورة نحو أربعين مرة، لأن هذه الدعامة التي نهضت عليها السورة هي قوله سبحانه: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] ومعنى التقوى أن تعرف الله، ولكن أي معرفة؟ معرفة نظرية صورية؟ لا، التقوى أن تعرف الله معرفة تتحول إلى خشية نفسية وخوف عاطفي وإجلال وجداني لله جل شأنه، هل التقوى معرفة وخشية كلاهما داخل النفس البشرية فقط؟ لا، لا بد أن يظهر ذلك في السلوك عبادةً ومعاملة وخلقاً، لأن هذه السورة تناولت المجتمع في كافة شؤونه، ففي ميدان العبادة قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] وفي ميدان التشريع قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨] وفي ميدان السياسة والدولة قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦] اللفظ واحد يَشمل تشريعات اجتماعية وسياسية وعبادية، لأن التقوى لا تنقسم ولا تنفك، فالضمير التقي هو الضمير الذي يكون الإنسان به مؤتمناً على صلاته وصيامه، على قضاء بين الناس وحكمه في شؤونهم، على خصومته، فهو ما يخاصم إلا لله ولا يحارب إلا لله، فالكيان الإنساني كله ما ينضج ولا يعظم ولا يكرم إلا بمقدار ما تصقله التقوى.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هي العلاقة بين الصيام والتقوى؟

إن العكوف على اللذائذ ومطواعة الأهواء وإجابة الرغبات الدنيئة أمراض تصيب الأمم في عصور الانحلال وتعرضها للهلكة، فهي نُذُر الفناء ودلائل إكبار السيادة، ولقد لوحظ من استقراء التاريخ أن الحضارات الكبرى لم يَقتلها إلا الترف، وأن الأمم العظيمة لم يُهلكها إلا البطر، وأن ترك الناس يَرتعون في الشهوات رَتع السوائم لم يَجر في أعقابه إلا البوار العاجل، لذلك حرص أولو النهى أن تشيع في الجماهير أخلاق الجندية وتقاليد الخشونة، وأن يتعلموا أخذ الحياة من جوانبها الصارمة ونواحيها الجادة، كما اجتهدوا أن يبتروا من المجتمع مظاهر الاسترخاء والتخنث، وأن يمنعوا استرسال النفوس مع أسباب اللهو والعبث.

ولا شك أن ألد أعداءنا وأخطر الناس على نهضتنا أولئك الذي يُزينون الرذائل للشباب، ويُصورون الحياة لهم على أنها غَرائز يَجب إشباعها، وفرص يجب انتهازها، وحرية ليس عليها قيد، وانطلاق لا يهدأ عند حد.

إن الغزو الثقافي الأوربي بذل جهوده كلها حتى يوجد شباباً لا إيمان له، شباب لا يعرف الله فضلاً أن يتقيه ويخشاه، نعم لقد ركز الغرب ضغطه كله على القلوب أولاً، حتى تُفرغ من العقيدة، واستبد به الجنون وهو يخرب كل ما أودع الإسلام في القلوب من تقوى ورعاية، إنه مُستميت في تكوين أجيال تضيع الصلاة والصيام وتتبع الشهوات، إنهم مُستميت في تكوين أمة تستثيرها الغرائز الدنيئة وتذهل عن معالي الأمور وتتبع سفاسفها، فعندما يُحقق هذه الأمنية يعلم أنه قضى القضاء المبرم على العروبة والإسلام، فما قيمة ثقافة لا تعتمد على إيمان، ولا يحصنها خلق ولا تشدها مثلٌ عليا؟ وقد حذر الفيلسوف الألماني "شواتيزر" بني عصره من طغيان الارتقاء المادي على الجوانب الروحية في الحياة، فقال بحق: "إن المدنية التي لا تُعنى بغير جوانبها المادية كسفينة مَكسورة الدفة تشق طريقها إلى الكارثة".

فالإسلام –يا سادة– لا يحتقر الغرائز الإنسانية، ولكن الإسلام يريد أن تملك نفسك، لا أن تملكك نفسك، وأن تكون إنساناً سيداً يَحكم رغباته، لا إنساناً تافهاً تَحكمه رغباته، وإلى هذا أشار سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧] ومن المستحيل أن تنهزم أمة تَغلبت على مطالب الشهوات، وتهيأت لتكاليف الواجب، ومن المستحيل أن تُفلح أمة استثقلت مطالب الجد، واستمرأت مزاهق الرجس.

ونحن –يا سادة– إذا نظرنا حولنا وجدنا الأمم التي تنشد الحياة الكريمة تأخذ لهذه الحياة أهبتها، فهي تغرس في لقوب بينيها حب المخاطرة ومواجهة الصعاب، وتُزين لهم الأعباء الثقال، ثم تحشدهم لها بالغدو والأصال، وهي تَكره لهم سقوط الهمة وضعف الوسيلة وانتهاب اللذائذ، بل هي ترسم لهم سياسة التقشف، وتضع مناهج الخشونة، ثم تفرض على الشباب والشيوخ جميعاً أن يَلتزموها.

لقد قرأنا في التاريخ –يا سادة– أن "المهاتما غاندي" في عام ألف وتسعمئة واثنين وثلاثين قرر البدء بصيام حتى الموت احتجاجاً على مَشروع قانون يُكرس التمييز في الانتخابات ضد المنبوذين الهنود، فاستجاب له قومه، حيث أدركوا أن سياسة التقشف في وجه الاحتلال البريطاني هي طريق النصر، وبدأ "غاندي" بنفسه فلف جسده الضئيل بخرقة بالية، واستنكف عن لبس ما تنسجه المصانع البريطانية مِن الحرير والصوف الفاخر، حتى أجبر الإنكليز على غَلق المصانع والاعتراف باستقلال بلاده، وفي ذلك قال أحد الشعراء:

لقد صام هندي فَرَوَّع دولة ... فهل ضار عِلجاً صوم مليون مسلم

وألقى على مانشستر ظل رغبة ... يضج بأشباح الشقاء المخيم

أهاب بآلات الحديد فعُطِّلت ... مصانع كانت جنة المتنعم

فيا لك من عان لديه تصاغرت ... جبابر أبدان وعقل ودرهم

وراحت ملوك المال تشكو ببابه ... من الفقر يا للظالم المتظلم

إن أَحَدَّ السلاح في يد الأمم الناهضة هو زهدها بأسباب الترف، وإلفها أسباب الخشونة، واكتفاؤها –نعم– واكتفاؤها بالقيل الذي تنتجه وتملكه واستغناؤها عن الكثير الذي تستورده وتتلمّسه من أيدي الآخرين، خصوصاً إذا كان الآخرون أعداؤها، إن "غاندي" ملك معدته فشغلها بما يريد، وملك جلده فكساه بما يريد، فكانت العقبى أن ملك أمره كله.

إن جولة الصيام والتقشف جَعلت قوى البغي تهتز أمام تجرد الرجل الضعيف، وكأن "غاندي" يُعلمنا –انتبه أيها المسلم، انتبه أيها العربي– وكأن غاندي يعلمنا أن الأمة التي تألف قرب المتع وتجزع من سياسة الحرمان إذا فرضتها ظروف طارئة أمة لا تستحق الحياة ولن تجد لها بين الأمم مكاناً، لقد كان من خلق

العرب الأولين أن يَطووا بطونهم، ويَكظموا على رغباتهم إذا واجهوا عدواً أو خاضوا حرباً، ومن ثم يقول قائلهم:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم عن النساء ولو باتت بأطهار .

فكيف نرتضي لأنفسنا والأعداء من كل جانب مُحدقون بنا أن نَتشفع من الكماليات ونستكثر من المرفهات، ونتصايح لفقدان ما لا قيمة له، وكيف تهنئ الأيام وصوت الباطل يحاول طمس قضايانا، وصريخ المجاهدين يذهب في الفضاء ولا من مجيب، وصدق القائل الذي قال:

صياماً إلى أن يُفطر السيف بالدم وصمتاً إلى يَصدح الحق يا فم

أَفِطر وأحرار الحمى في مجاعة وعيد وأبطال الجهاد بمأتم

معاشر السادة: إننا على أبواب استقبال شهر رمضان المبارك، هذا الشهر العظيم الذي يَحمل في جعبته الخير والرحمة والمغفرة والإحسان والمواساة، والذي يحمل في جعبته أيضاً غَزوة بدر الكبرى وفتح مكة، وغيرها من الأحداث التي نَستذكرها دائماً في حياتنا الطويلة، نحن إذاً على أبواب استقبال شهر رمضان، هذا الشهر الذي نَصوم فيه ينبغي علينا أن نتذكر فيه قول النبي ﷺ: ((ما آمن بي من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم)) إن هناك أماكن حاصرها الإرهاب الغاشم، حاصرها المسلحون المعاندون المجرمون، الذين لا يرعون للإنسانية حقوقاً أبداً، حاربوهم بلقمة العيش، حاربوهم بلقمة طعام أبنائهم، نحن عندما نجلس على مائدة الإفطار والله تبكي القلوب قبل أن تدمع العيون، لأننا نَتذكر أن رغيف الخبز الذي نأكله قد حُرمه الكثيرون من الناس الذين يُحاصرهم الإرهاب الغاشم، كم هناك من قرية وكم هناك من مدينة كانت تأكل وتشرب وتنعم وتعيش في رفاهية، وبعد أن ضرب الإرهاب والإجرام أمننا واستقرارنا أصبحنا نرى ونسمع أن فلاناً مات من الجوع، وأن فلاناً مريضاً من الجوع، وأن كذا، وأن كذا، وإنك تسأل نفسك: هل دُمرت الإنسانية في القلوب؟ هل مُحقت الإنسانية من المشاعر والضمائر؟.

فنحن في هذه الأيام المباركة، وعلى أبواب هذا الشهر الكريم، شهر المواساة، شهر الرحمة والإحسان، ما أحوجنا أن نتمثل هذه المعاني وهذه القيم، ومع هذا وذاك تجد الغلاء في الأسعار، تجد تجار الحروب والأزمات يُتاجرون على حساب الآخرين، والله أنا أتألم عندما أرى شهيداً من أبناء هذا الوطن مات في ساحات القتال مُدافعاً عن أرضه وعرضه، قدم دمه وترك زوجته وأولاده وأغلى ما يملكه دفاعاً عن هذا

الوطن، حباً لهذا الوطن، في الوقت الذي تَجد فيه تجار الحروب والأزمات يَسعون إلى تكبير كُروشهم وملأ جيوبهم، أمر عجيب والله، أمر عجيب يَجعلك تبكي دماً، عندما تجد أسرة مُشردة تَبحث عن غرفة تأوي إليها، وإذا بالناس لا يَرحمون بعضهم، أسعار مرتفعة وشروط قاهرة، إن شئت تعال وإلا فاذهب وليأتِ غيرك، أهذه أخلاق العروبة؟ يا ليتنا نتعامل بأخلاق الجاهلية يا سادة، لأن النبي ﷺ قال: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) ونحن اليوم لم نترك فقط أخلاق عروبتنا، بل تركنا أخلاق إسلامنا، فشهر رمضان يُعلمنا الحب، يُعلمنا المواساة، يُعلمنا الوقوف إلى جانب الفقير، إلى جانب المحتاج، إلى جانب صاحب الدخل المحدود، يُعلمنا الوقوف إلى جانب الشهداء وعائلات الشهداء، لا يَكفي اليوم أن نَمدح الجيش العربي السوري، لا يكفي اليوم أن نَدعو فقط للجيش العربي السوري، وإن كان فُرضاً علينا، بل واجب علينا أن نبحث عن عائلات الشهداء، أن نبحث عن عائلات الجرحى، أن نبحث عن زوجات وأمهات الشهداء، وأن نُقدم لهم كل ما نستطيع، ولو بكلمة طيبة، هذا هو التراحم، وهذه هي الأخوة، هذا هو المواساة، فشهر رمضان يُزاد فيه رزق المؤمن، وشهر تتقرب فيه القلوب إلى الله، وشهر تجلى الله عز وجل فيه على عباده، من أراد أن يكون قريباً إلى الله فليفعل الخير، وليعمل على جبر الخواطر، واعلم أنه ما عُبد الله عز وجل بشيء أحب إليه من جبر الخواطر.

فهل –يا سادة– نتمسك بأخلاق النبوة، ونمسح رأس اليتيم في شهر التراحم، فقد أتى رجل إلى النبي ﷺ يَشكو قسوة القلب، فقال له النبي ﷺ: ((هلا مسحت رأس اليتيم؟)) لم يَقل له أكثر من الصلاة، ولا من الصيام، ولا من الذكر، على الرغم من أنها عبادات جليلة، لكن النبي ﷺ يُعلم الإنسانية أن الشعور بالآخرين هو أقصر طريق لترقيق القلوب والأرواح، ((هلا مسحت رأس اليتيم؟)) كم هناك اليوم في المجتمع من يتيم مشرد، من يتيم يأن، من أرملة تبكي، من أم ثكلى، ومن ومن ...، نحن في أيام يحب الله عز وجل فيها جبر الخواطر، طوبى لمن عمل خيراً، فإنه مَن زرع خيراً يَحصد يوم القيامة خيراً، ومَن زرع شوكاً فإنه لا يجني من الشوك العنب، والحمد لله رب العالمين.

**الخطبة الثانـــية:**

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم إنا نسألك أن تُبلغنا شهر رمضان، وأن تُعيننا فيه على الصيام والقيام وغض البصر وحفظ اللسان، وأن تجعلنا فيه من عتقائك من النيران، اللهم إنا نسألك أن تُعيد الأمن والاستقرار إلى ربوع هذا الوطن الحبيب، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تكون لهم معيناً وناصراً في السهول والجبال والوديان، اللهم ثبت الارض تحت أقدامهم، وسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، وكن لهم معيناً وناصراً، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد لما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

مديرية أوقاف دمشق